Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(جـ) مما يدل على أن الخنساء لم تكن تصب أحزانها على صخر حبا ووفاء له فحسب ، أننا حينما نحاول الربط بين المطلع والموضوع فى شعرها حسب فهمنا أن حزنها كان على مجرد فقد صخر ، لا نجد الرباط واضحا ، فإن مقتضى حزنها وبكائها فى المطلع على فقد صخر ، يقتضى أن يكون الموضوع فى صلب القصيدة منصبا على تصوير أثر فراقه فى نفسها ووجدانها ، ولكننا نجد الموضوع إنما ينصب على تصوير الفضائل والأمجاد التى كان يتحلى بها صخر ، والتى من شأنها أن تكسب العشيرة والقبيلة مجدا ، أما الأثر الذى يتركه فقد شخص عزيز أو ذى رحم فلا تكاد نجد له ظلا ، إلا فى قصيدتين أو ثلاث ، لعلها قالتها فى أثناء مأتم صخر ، ومع ذلك نجد هذا الظل باهتا .

(د) فى مطالع الخنساء توضيح وتعليل للجوانب والمواقف التى نراها غريبة أو متناقضة فى حياة الخنساء ، كالتناقض بين موقفها من موت صخر غير الشقيق ، وموت معاوية الشقيق ، وبين هذا وموقفها من موت بنيها دفعة واحدة ، وبين موقفها من موت صخر الذى كان راحة له مما ظل يعانيه من ألم وشعور بالهوان حتى على زوجه ، وموقفها من هذا الألم الجسدى والنفسى الذى عاناه صخر قبل موته ، حيث كان موت صخر وحده دون هذه الأحداث كلها هو الذى هز نفسها وقلبها وعينيها وشاعريتها ، وفى هذا تناقض وغرابة كانا مصدر حيرة وعجب لدى الرواة والدارسين فى كل العصور .

وكان مصدر هذه الحيرة هو النظرة إلى حزن الخنساء على أنه حزن عاطفى وجدانى كسائر أحزان النساء على موتاهن ، ولكن مطالع قصائدها تذهب كل حيرة وعجب حين تخبرنا بأن فهمنا لحزن الخنساء لم يكن صحيحا ، فمطالع الخنساء لم تقل إن الخنساء حزينة ، وإنما هى تطلب الحزن ملحة فى طلبه ، وتنشده ملحفة فى نشدانه ، مكررة هذا الطلب وهذا الإلحاف فى عشرات المطالع فضلا عما فى داخل القصائد ، حتى إن بعض مقطوعاتها تكاد تكون كلها أو معظمها طلبا للبكاء ، كهذه المقطوعة :

يا لهف نفسى على صخر وقد لَهِفَتْ وهل يَرُدَّن خبلَ القلب تلهيفى
ابكى أخاك إذا جاورتهم سَحَرًا جودى عليه بدمع غير مَنْزُوف